مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

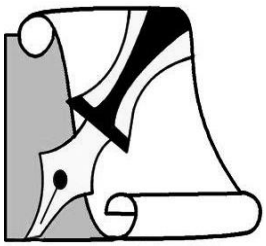

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

١ ـ إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.
٢ ـ الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
٣ ـ بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
٤ ـ إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

المناورات العسكرية الإسرائيلية وخلفيّاتها

١ ـ مدخل:

تنعت إسرائيل حزب الله في الوقت الراهن بالجيش الثاني في الشرق الأوسط وهي من أجل التعامل مع المخاطر الجديدة التي يمثّلها، أجرت مناورة هي الأكبر في تاريخها بهدف، على حد زعم قادتها العسكريين والأمنيين، القضاء عليه وطرده من المناطق التي قد يحتلّها داخل فلسطين المحتلة في حرب لبنان الثالثة المفترضة. وقد أشارت تقارير ودراسات إسرائيلية في السنوات الأخيرة إلى أنّ حزب الله أدخل إلى أساليبه القتالية نظاما جديدا يعتمد على قوات خاصة مدرّبة على الانقضاض الخاطف بأسلوب قوات الكوماندوس النظامية نفسه، وطوّر من أساليبه القتالية داخل الأنفاق والدشم الحصينة، وأصبح يمتلك وحدات مضادّة للطائرات تمّ تدريب عناصرها في إيران.

لقد جاءت نتائج حرب تموز ٢٠٠٦ والاعترافات الإسرائيلية المتكرّرة لتقلب كل الحسابات والتقديرات العسكرية الإسرائيلية رأساً على عقب، ولتتهاوى المفاهيم والنظريات الحربية بقوة مذهلة وليتحوّل المشهد الإسرائيلي من حال النشوة والثقة المطلقة بالنفس والاعتقاد الراسخ بالانتصار السريع الساحق على حزب الله إلى حال اليأس والإحباط والإحساس بالهزيمة الماحقة لأول مرة في تاريخ الكيان الغاصب، ولكن تبقى حروب"الحساب المفتوح" بين الكيان الصهيوني ولبنان الجيش والشعب والمقاومة قائمة ومفتوحة.

لا يمكن أن تغيب عن ذهننا في هذا المجال التهديدات الإسرائيلية المتكرّرة في الأعوام الأخيرة باعتزام العدو تبنّي تنفيذ عقيدة "الضاحية" في أي مواجهة مقبلة مع حزب الله، وأنّ لبنان كله سيكون مستهدفاً في حال اندلاع مثل هذه المواجهة، ولا التدريبات المكثّفة التي أجريت تحت اسم "نقطة تحول"، بدأت بالرقم-١- ثم تسلسلت لتصل في يوم الأحد ٢٠١١-٦-١٩ إلى ذروتها تحت إسم:"نقطة تحول-٥". من أجل ذلك تقول مصادر عسكرية إسرائيلية أنّ المناورات الأخيرة ليست جديدة وهي تطبيق لسياسة إسرائيل الدائمة منذ عشر سنوات بالنسبة لحدودها مع لبنان، إذ تحاول جاهدة أن لا تسمح بتكثيف وجود قوات حزب الله على الحدود، بالتوازي مع سياسة تنتهجها على الجانب الآخر من الجولان السوري المحتل منذ ٦ سنوات، إذ تحارب أي مؤشّر على انتشار عناصر حزب الله أو الحرس الثوري الإيراني قرب الحدود مع سوريا.

لا يمكن عزل توقيت المناورة الأخيرة، في الواقع، عن التطورات السياسيّة والميدانيّةالجارية في سورية، وخاصّةً اتفاق وقف إطلاق النار الأخير في جنوب سورية، والذي ادّعت إسرائيل أنّه لا يأخذ بالحسبان مصالحها الأمنية،وهو ما تكرّر خلال لقاء رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو مع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، مؤخّرا في موسكو، إذ ذكرت وسائل إعلام مختلفة، أن بوتين رفض مطالب نتنياهو بكل ما يتعلّق بمنع أي وجود إيراني في سورية في مرحلة ما بعد الحرب، وادّعاءات إسرائيل بأنّ إيران تكرّس وجودا عسكريّا جنوب سورية يشكّل تهديدا كبيرا لأمنها.وفي هذا السياق لفت المحلل العسكري الإسرائيلي في صحيفة هآرتس، عاموس هارئيل، إلى أنّه سيكون على الكيان المحتل، في ظلّ الواقع المتشكّل في سورية، أن يواصل الدمج ما بين التصريحات العلنية والضغط السياسي من جهة، وبين اللجوء إلى عمليات سرية لمواصلة إبعاد هذا التهديد الأمني من جهة ثانية.

٢ ـ حزب الله العدو الأساسي:

الواقع الاستراتيجي في ٢٠١٧، بحسب تقديرات الكاتب الإسرائيلي عاموس هارئيل في هآرتس، مختلف تماما عمّا كان عليه من قبل، فالجيش السوري، في نظره، قد تمّ تدميره بصورةٍ كاملة تقريباً في ست سنوات

ونصف من الحرب الأهلية، وبالتالي فحزب الله هو العدو الأساسي، ولبنان هو ساحة الحرب المركزية التي تقلق "إسرائيل"، وسوريا تُعتَبر ساحة ثانوية يمكن أن تشارك في حرب مستقبليّة مع حزب الله، وذلك في ظروف معينة (مثل نشاط إيراني متعاظم على الحدود الإسرائيلية في هضبة الجولان)، ووفقا لتسارع اندلاع الحرب.

المناورة العسكرية الأضخم في تاريخ الكيان، بحسب هارئيل، هي الأولى من نوعها بعد ١٩ سنة، إذ يشارك فيها عشرات آلاف الجنود النظاميين والاحتياط، ولكن المهمّ فيها هو اختبار الأطر والوحدات (عشرات الألوية)، ولا سيّما تدريب القادة – قادة وحدات فما فوق. والهدف الذي وضع أمام قائد ما يسمّى الجبهة الشمالية في هذه المناورة، اللواء تامير هايمن، بحسب هارئيل، هو "الانتصار على حزب الله". فهذه المرّة "لا يتم سماع أقوال عن إلحاق ضرر كبير بحزب الله، أو ردعه أو سلب إرادته القتالية، حتى جولة الهجمات المقبلة". وهذا تطور إيجابي برأي هارئيل لأنه"من الجيد أنّ الجيش الإسرائيلي يتحدّث بصورةٍ واضحةٍ في الداخل والخارج. ولكن يجب أخذ الأمور بالتحفّظ المناسب،فمن الأسهل الإعلان عن انتصار في المناورة عنه في الحرب، مع أنّ الاتجاه الذي تتطوّر نحوه الأمور في الاختبار الحقيقي يتعلّق بدرجةٍ كبيرةٍ بالحوار بين هيئة القيادة العامة والمستوى السياسي".

يضيف هارئيل: "المجلس الوزاري المصغّر والحكومة، كما تبيّن جيّداً في كل المعارك الأخيرة في لبنان وغزة، غير متحمسين لأن يضعوا أمام الجيش أهداف مفصّلة أو طموحة. ففي حالات كثيرة اضطرّت القيادة العامة إلى وضع أهداف المعركة من خلال تفسيرٍ خلاّقٍ للتوجيهات العامة جدّا التي تصل من الأعلى. هذا أحد الأسباب التي كانت في خلفيّة قرار رئيس هيئة الأركان غادي آيزنكوت لنشر وثيقة إستراتيجية الجيش الإسرائيلي – التي تناقش للمرة الأولى بشكلٍ علني هذه القضايا – قبل سنتين. وفي هذه المرة على الأقل، كما يبدو، سيكلّف أعضاء المجلس الوزاري المصغر أنفسهم عناء مشاهدة المناورة، بعد غياب معظمهم عن مناورة هيئة الأركان الأخيرة قبل سنة تقريبا".

من ناحيةٍأخرى يقول هارئيل: "حزب الله يعرف عن تحضيرات الجيش الإسرائيلي للمناورة. ويتوقّع أن يحاول قدر استطاعته حلّ لغز مخطّطات إسرائيل ومعرفة قدراتها. رغم رسائل التهدئة التي تخرج من إسرائيل والتي توضح أنّ الأمر يتعلّق بمناورة فقط (الجليل الأسفل يلعب في المناورة دور لبنان)".

٣ – رسائل المناورة وأهدافها:

ورد في التقديرات الإسرائيلية أنّتل أبيب تريد استغلال المناورة، في ما تريد، من أجل نقل رسالة ردع للمقاومة الإسلامية اللبنانية مفادها أنّه بالرغم من تحسّن قدرات حزب الله في الـ ١١ سنة الأخيرة، إلا أنّ تحسّن قدرات الجيش الإسرائيلي – في الجو والاستخبارات الدقيقة والتكنولوجيا ومؤخّرا التدريب البري – باتت أكبر أيضا. وتضيف التقديرات أنّه "إذا أخطأ حزب الله في تفكيره بأنّإنجازاته في الحرب في سوريا باتت تعدّه للنجاح أيضا في مواجهة إسرائيل فإنّه سيدفع ثمنا باهظا لقاء ذلك".

وورد في التقديرات الإسرائيلية أيضاأنّه في خلفيّة المناورة توجد تغييرات دراماتيكية في الواقع الإقليمي. فالحرب في سوريا بعيدة عن نهايتها، لكن نظام الرئيس الأسد قد تمّإنقاذه من الهزيمة بفضلها وفضل التدخّل الروسي والإيراني والمساعدة الكبيرة من حزب الله، ممّا أوقف تقدّم المتمرّدين، وخلال الأشهر الأخيرة أعادت الحرب للنظام مناطق أساسية.

المخابرات الإسرائيلية بدورها ما زالت تجد صعوبة في تقدير كيفيّة تصرّف روسيا في حال حدوث حرب مع حزب الله. سوريا، موسكو وحزب الله موجودون في المعسكرنفسه الذي يدعم نظام الرئيس الاسد، لكن روسيا تحتفظ بقناة مفتوحة وودّية جدا مع اسرائيل. وفي وقت الحرب من شأن روسيا أن تحاول صدّ

"إسرائيل" عن مواصلة مهاجمة حزب الله، لكن في الوقت نفسه ربما روسيا بالذات (في الواقع الذي يزداد فيه ويتعاظم التدخل والنفوذ الاقليمي للولايات المتحدة) هي التي ستستطيع تقديم المخرج السياسي من الأزمة.

في الأسابيع الأخيرة نشرت بيانات إسرائيلية ظهرت للمرّة الأولى في آذار الماضي، حول جهود إيران وحزب الله لإقامة مصانع لانتاج الصواريخ الدقيقة في لبنان. وبالتالي فإنّ اقتراب هذه المنتوجات الخطرة من المنتج إلى المستهلك، بحسب هارئيل، يقلق إسرائيل، لكن يبدو أنه كانت هناك مبالغة ما في وصف اقتراب زمن التهديد. ويضيف هارئيل : "الآن، التحذيرات الإسرائيلية ردعت إيران، ومطلوب من إسرائيل الاستمرار في الدمج بين الإعلانات العلنيّة والضغط السياسي، وفي حال الضرورة عمليات إحباط (من تحت الرادار) من أجل إبعاد تحقّق هذا التهديد".

موقع واللا الإستخباراتي الإسرائيلي عدّد من جهته أهداف المناورة الثلاثة كالتالي:

أولاً، سيتدرّب الجنود الإسرائيليون على إخراج حزب الله من البلدات والقرى التي "سيحتلها" بالاعتماد على عنصر المفاجأة في أغلبية الأحيان. وفي التفاصيل أنّ إسرائيل تتوقّع أن يتّجه حزب الله إلى مستعمرتي المطلة ميسكاف عام، عند الحدود اللبنانية وإلى طريق بوابة فاطمة التي تصل تلال طبريا الواقعة شمال مستوطنة كريات شمونة بالحدود اللبنانية-الإسرائيلية. كما تتوقّع إسرائيل أن يصل الحزب برّا وعبر الأنفاق إلى مُستوطنتي زرعيت وشتولا بمحاذاة الحدود اللبنانية-الإسرائيلية.

ثانيًا، ستقتحم قوة كبرى من الجيش الإسرائيلي الحدود وتدخل إلى لبنان في محاولةٍ منها إلى هزيمة حزب الله بشكلٍ سريعٍ وحاسمٍ في أرضه، علما أنّ إسرائيل مصمّمة على تكبيد الحزب خسائر فادحة على مستوى الأرواح والبنىً التحتية والأرض.

ثالثا، سيتدرّب سلاح الجو الإسرائيلي على لعب دور مختلف في المواجهة، وذلك بعدما فشلت إسرائيل خلال العام ٢٠٠٦ نتيجة مبالغتها في الاعتماد عليه. وعليه، سيعمل سلاح الجو الإسرائيلي خلال المناورة على التنسيق مع منظومات إسرائيل الدفاعية الجوية الأخرى، التي ستواجه صواريخ حزب الله التي يقدّر عددها بمائة ألف بالإضافة الى أسطول الطائرات من دون طيار (الدرونز) التي يعتمد عليها الحزب لجمع المعلومات الاستخباراتية وتوصيل الصواريخ والطائرات من دون طيار الموجهة والمحزمة بالمواد المتفجّرة.

كذلك سيتحضّر الجيش الإسرائيلي للمرّة الأولى لإخلاء نحو ٧٥ ألف مدني من البلدات والقرى القريبة من نيران الحزب الله.

في السياق عينه، نقل موقع (YNET) التابع لصحيفة (يديعوت أحرونوت) عن أنّ هناك في الجيش الإسرائيلي من يصف الحزب بأنه الجيش الأقوى في الشرق الأوسط بعد الجيش الإسرائيلي، موضحا أنّ حزب الله قادر على إدارة معركة على مستوى لواء، مع استخدام الطائرات المسيّرة الهجوميّة، وجمع المعلومات الناجعة عبر الدمج مع الأنفاق والكهوف الهجوميّة، وتفعيل نيران مدفعيّة إلى جانب استخدام الدبابات وكذلك تجميع قوات مدرّبة بسرعة بحجم ٤٠٠٠ مقاتل خلال فترة زمنية قصيرة في منطقة التجمّع، كما فعل في إحدى عملياته الأخيرة ضد داعش.

وكشف الموقع بذلك عن حجم متابعة الجيش الإسرائيلي للمعركة التي خاضها حزب الله ضد داعش، والدلالات التي انطوت عليها على المستويين العملاني والتكتيكي. ويأتي هذا التقويم امتدادا لتقديرات سبق أن كشفها قادة عسكريون وخبراء إسرائيليون لفتوا فيها إلى أنّ حزب الله تحوّل بعد مشاركته في القتال على الأراضي السورية إلى جيش أكثر احترافا وقوة وخبرةً.

على هذه الخلفية، بات واضحا وجليّا أنّ دولة الاحتلال وقعت في فخ المبالغة في الاستجابة لمتطلبات الدعاية (البروباغندا) على حساب المهنيّة التي كان يفترض أن يتحلّى بها الجيش الإسرائيلي، لكن بهدف تحسين الصورة، وتحصين مناعة الجمهور الاسرائيلي، يصبح كل شيء مباحا.

٤ ـ فلسفة المناورة:

تشكّل المناورة العسكرية في المطلق جزءا من التدرّب الميداني ومحاولة لكشف مكامن الخلل العملاني بقصد معالجتها لاحقا. لكن لمناورة "السهم الأزرق" الأخيرة، في المفهوم الإسرائيلي، وظيفة إضافية وهي: تظهير القدرة والاقتدار، ورسالة موجّهة لوعي الأعداء، تصل إلى حدّ جعلها وكأنّها محاكاة للحرب الحقيقية التي ستنشب، إن نشبت، بين "إسرائيل" وأعدائها، مع إمكان الاختلاف في النتيجة: ففي المناورة، تكون النتيجة مقرّرة سلفا، وهي الانتصار، أمّا في الحرب الفعليّة، ففي الحدّ الأدنى تكون النتيجة مجهولة تماما. ولا يقلّ البعد الداخلي حضورا عن غيره من الأبعاد، وأبرز من عبّر عنه رئيس الكيان الإسرائيلي، رؤوفين ريفلين، الذي تفقّد قادة الفرق والألوية التابعة للمناورة، وأعلن أن "جاهزية الجيش مهمّة جدا لكل الجبهة الداخلية"، مشدّدا على أنّ المناورة "رسالة من الجيش لمواطني إسرائيل بأنّه جاهز ومستعد، وهنا تكمن الأهمية الكبرى". كذلك فإنّ الرئيس الإسرائيلي، ريفلين ووزير الأمن أفيغدور ليبرمان ووزراء الشؤون الاستخبارية والعدل والتعليم والتربية والثقافة وضباط الجيش وأركانه، كلّهم شاركوا في توظيف المناورة سياسيّا، فيما الإعلام العبري ومراسلوه ومحلّلوه، الذين نقلوا ما أُريد لهم أن ينقلوه من رسائل، شدد في المقابل على الموقف المشكّك في النتائج. وما كانت "إسرائيل"، بمسؤوليها السياسيين والعسكريين، لتلجأ إلى استخدام المناورة وتوظيفها، والتي يفترض بأنّها إجراء روتيني مهني تلجأ إليه الجيوش المهنيّة، لو كانت تعلم بأنّ تهديداتها الشفوية المتكرّرة، شبه اليوميّة، تُجدي نفعا. بيد أنّ محاولة التوظيف المفرط والمبالغ فيه للمناورة لترهيب حزب الله، انتهت إلى نتيجةٍ معاكسة كشفت عن العجز في أداء المهمّة بالرغم من التكاليف الباهظة التي أُنفقت عليها.

لقد قال الجيش الإسرائيلي أنّه خطّط للمناورة لأكثر من سنة، نافيا وجود علاقة بين إجرائها والأحداث الأمنيّة الأخيرة في شمال الكيان، لا سيّما الحديث عن تموضع قوات إيرانية في سوريا. وأشار جيش العدو إلى أنّ التخطيط للمناورة بدأ بعد استلام رئيس الأركان الحالي، غادي أيزنكوت، المنصب عام ٢٠١٥، وبناءً على توجيهاتٍ صدرت منه. وشدّد مسؤولون في جيش العدو على أنّ المناورات تركّز على مواجهة حزب الله في جنوب لبنان، ولن تشمل سيناريو مواجهات على الجبهة مع سوريا.

واختار جيش العدو منطقة في شمال فلسطين المحتلة تشبه جنوب لبنان في تضاريسها لتكون مسرحاً للمناورة الواسعة. وبحسب ما نشر هذا الجيش، شاركت في المناورة قوات كبيرة من وحدة الاستخبارات العسكرية، وسلاح البحرية، وقسم الصيانة التقنية، ووحدة السايبر، وسلاح الجو، وقوات الجبهة الداخلية، وغيرها. وقام الجيش باستخدام التقنيات المتقدمة لديه خلال المناورة ومنها الطائرات من دون طيار في مهام هجومية ونقل المعدات، وشاحنات ذاتية القيادة، وروبوتات لنقل المعدات.

ويحاكي سيناريو المواجهة مع حزب الله، هجوما من طرفه، ومن ثم ردّ الجيش على ٣ مراحل: المرحلة الأولى تتضمّن نشر قوات دفاعية على نقاط التماس مصحوبا بضربات جوية، وفي المرحلة الثانية زحف قوات المشاة وفي المرحلة الأخيرة تغيير المهمّة. وقام بأداء دور قوات حزب الله مئات من جنود الجيش الإسرائيلي.

لقد تدرّب جيش العدو خلال المناورة على سيناريوهات إخلاء مواطنين من المستوطنات المحاذية للحدود مع لبنان، وكذلك على سيناريو تسلّل قوات تابعة لحزب لله لمستعمرات إسرائيلية، ومواجهة هذه القوات داخل الأراضي الإسرائيلية. وقد قام الجيش بإحضار مبانٍ خاصة تحاكي مبانٍ عسكرية تابعة لحزب الله لغرض التدريب. وطوال الفترة التي نفّذت فيها إسرائيل مناورة "السهم الأزرق" كان حزب الله في حالة استنفار قصوى لكل قطاعاته العسكرية. وعلى الرغم من استبعاد الحزب للحرب، فإنّه كان يتمعّن بمشهدٍ مكثّفٍ من مناورات الحدّ الأقصى سياسيّا وعسكريا الذي تقوم به إسرائيل، سواء على الساحة الدولية أو الإقليمية وحتى في ميدان تدريب جيشها للحرب المقبلة التي وضعت لها عنوان "معركة الحسم النهائي".

ما كان لافتاً لحزب الله هو أن تشكيلة القوات التي شاركت في مناورة "السهم الأزرق"، تتّسم بزخم عسكري يجعلها بحجم "مناورة إقليمية"، ويمكن تسميتها بحسب رؤية الحزب لها بأنها "مناورة الفيالق" العسكرية. ومن منظار عسكري، فإن هذا النوع من المناورات الواسعة النطاق تعتمده الدول في سياق بذل الجهود اللازمة ضمن الاستعدادات المتقدّمة لشن حرب.

بالتزامن مع الحراك العسكري، وعلى الصعيدين السياسي والدبلوماسي، كان من اللافت تركيبة الوفد الإسرائيليالذي ذهب بقيادة نتنياهو إلى واشنطن وتاليا إلى موسكو، وقد تمّ تشكيله من غالبية أعضاء الحلقة الضيّقة التي تتّخذ قرار الحرب والسلم في إسرائيل، والمسمّاة "كابينيت" (المجلس الوزاري المصغر)، ليقوم بتنفيذ أضخم مناورة سياسية ودبلوماسية منذ عدّة عقود.

٥ ـ حيثيات المناورة:

لقد بدأت إسرائيل يوم الثلاثاء في الخامس من أيلول مناورة بمستوى فيالق (٣٠-٤٠ ألف عسكري)،هي الأولى من نوعها، منذ ١٩ عاماً أي منذ العام ١٩٩٨ على الحدود الشمالية المحاذية للحدود اللبنانية السورية، واستمرّت ١١ يوما. وقد ذكرت صحيفة "هآرتس" أنّ الهدف المعلن الذي حدّدته قيادة جيش الاحتلال من هذه المناورات على لسان قائد الجبهة الشمالية، الجنرال تامير هايمان، هو تحقيق نصر واضح على "حزب الله". وفي هذا السياق، لفت المحلّل العسكري في "هآرتس" عاموس هارئيل، إلى أن هذا الأمر يتماشى مع وثيقة "الاستراتيجية الجديدة لجيش الاحتلال"، التي وضعها رئيس الأركان الحالي، الجنرال غادي أيزنكوت، وتمّنشرها على الملأ قبل عامين. وكانت الوثيقة المذكورة حدّدت بأنه ينبغي على المستوى السياسي أن يحدد للمستوى العسكري، في أيّة مواجهة عسكرية قادمة، وبشكلٍ واضح، الأهداف المطلوبة من الجيش، وما هو الإنجاز الذي يمثل "الانتصار" في المعركة، وذلك لتفادي ما حدث في عدوان "الجرف الصامد" على قطاع غزة، فيما يتعلّق بالفرق بين التصريحات السياسية وبين النتائج العسكرية على الأرض، والتي لم تحقق حسما عسكريّا واضحا ضد "حماس"، أو ما حدث في العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦ أيضا.

وبحسب الناطق باسم جيش العدو فإنّ التدريبات تعمّ العديد من المدن المحتلة،أبرزها اللد وأور يهودا القريبتين من مطار بن غوريون ومدينة ريشون لتسيون وبئير يعكوف وروش هعاين وغفعات شموئيل وبيت داغان ونعوريم ويافا وتل ابيب وحولون وهرتسليا وبات يام. وقال الناطق باسم جيش العدو بأنّ التدريبات خُطّط لها وفقا لخطة التدريبات لعام ٢٠١٥ للحفاظ على جهوزيّة القوات المقاتلة.

على صعيدٍ آخر نقلت وكالة "فرانس برس"، عن مصدر في وزارة الدفاع الإسرائيلية طلب عدم نشر اسمه، قوله أنّ هذه المناورات ستتيح محاكاة "مختلف السيناريوهات التي يمكن أن نواجهها إذا ما خضنا نزاعا مع حزب الله". كما أكّد مصدر عسكري إسرائيلي آخر للوكالة أن "هذه المناورات سيشارك فيها عشرات آلاف العسكريين، بمن فيهم جنود في الاحتياط، إضافة إلى طائرات وسفن وغواصات". وأضاف المصدر أن الجيش الإسرائيلي سيجري خلال هذه التدريبات محاكاة لمستشفيين ميدانيين وسيختبر تكنولوجيات جديدة مثل شاحنات بدون سائقين أو طوافات بدون طيارين لتنفيذ عمليات إخلاء. وأشارت صحيفة يديعوت أحرونوت إلى أن الجبهة الداخلية شاركت كذلك فى هذه المناورات من خلال القيام بعمليات إنقاذ ونقل للضحايا وإخلاء الجرحى والقتلى والمصابين. واعتبر المعلّق العسكري الإسرائيلي في صحيفة "هآرتس" أمير أورن، أن المناورة العسكرية الأخيرة أكّدت لحزب الله أنّ "الردع لن يكون هدف الحرب المقبلة في لبنان، وإنّما الحسم تحقيقا للردع". وأشار إلى أنّ جوهر أي مناورة عسكرية، هو "حفظ المادة النظرية، والتحقّق من مدى ملاءمتها للواقع، والربط بين التخطيط النظري والميدان العملي، والتعارف بين المستويات المختلفة داخل القوات البرية وبينها وبين النظم الأخرى". ولفت أورن، إلى وجود "معادلة طموحة، مفادها أن الحسم يساوي الردع، وظاهريّاً هما مفهومان مختلفان وحتى متضاربان"، منوّها إلى أنه "إذا تمكّن الجيش الإسرائيلي من إقناع

أعدائه بأن هزيمتهم مؤكّدة، فسيردعهم عن الهجوم، ويحقّق الردع، وهذا يعني أنّ الحسم هو نوع من الانتصار بالضربة القاضية وليس بالنقاط، ومقابلها هو سقوط أبدي وليس مجرد خسارة". ويضيف أورن أنّ "إسرائيل منذ بداية وجودها، ليست قادرة على الصمود إلاّ في الحروب القصيرة، التي تنتهي بهزيمة سريعة للعدو والعودة إلى الحياة الروتينية"، موضحا أنّ "هذا التقييم يقلّل من قدرة الجمهور الإسرائيلي على التكيف". ورأى أن النموذج المطلوب لعملية الحسم، هو حرب ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي على مصر)، التي كانت نتيجتها، تحقيق عشر سنوات من الهدوء على الحدود الجنوبية. وقال: "لقد احتل جيشنا سيناء خلال أربعة أيام، وانسحب في غضون أربعة أشهر، وتمركزت قوة الأمم المتحدة على الحدود، وامتنعت الحكومة المصرية عن العدوان ضد إسرائيل لمدّة عقد من الزمن"، وانتهى إلى القول: "إذا وضعنا لبنان مكان مصر، واستبدلنا جمال عبد الناصر بحسن نصر الله، فسيسود في هيئة الأركان الارتياح". وافترض أورن أنّ سماحة السيد نصر الله، "ليس سيد نفسه، وهو يعمل على الموازنة بين نفسه كلبناني وبين التوجيهات الإيرانية، فإن التهديد باستثمار قوة إسرائيلية مدمّرة من أجل حسم منظمته، يهدف لردعه عن إطاعة الحرس الثوري الإيراني وحثّه على أن يكون لبنانيّا أوّلا"، على حدِّ زعمه. وأضاف: "إنّ من يريد الردع يهدّد بالحسم، ولكن مصداقيّة الردع تعتمد على تقييم العدو، وعلى وجود جيش إسرائيلي مؤهّل حقاً لتنفيذ المهام التي يتدرب عليها"، مؤكّدا أنّه في حال "لم تتحقّق إنجازات عاجلة للوحدات النوعية، وكانت هناك حاجة لإرسال قوات من الدرجتين الثانية والثالثة، فيمكن للمعركة أن تصبح معقّدة وعكسيّة". في المقابل أكّد مسؤول في حزب الله أنّ الحزب على أهبّة الاستعداد في أيّ وقتٍ لأيّ سناريو أو هجوم إسرائيلي. وقال إن الإسرائيليين لن ينجحوا بمفاجأتنا "فإسرائيل تعلم جيدا قدرات حزب الله، لأنّ الهزيمة التي ألمّت بها في عام ٢٠٠٦ أدّت لردع الجيش الإسرائيلي ونحن متأكّدون من أنّ التدريب الإسرائيلي له علاقة مباشرة بقدرات حزب الله العسكرية". لكن ممّا يجدرذكره أنّه عندما اضطر جيش العدوللخروج من لبنان بعد وجود لا لزوم له استمرّ ١٨ عاماً،بحسب تقديراته، فإنّ هذا شكّل حسماً لصالح حزب الله، وكما تبيّن في سنة ٢٠٠٦ أيضا، فإنّ الحزب لم يرتدع.

استمرّت هذه المناورات، التي أطلق عليها اسم "نور داغان"، إلى يوم ١٥ أيلول ٢٠١٧. وقد أطلق هذا الاسم على المناورات تخليدا لذكرى رئيس الاستخبارات الخارجية (الموساد) السابق، مائير داغان، الذي أشرف على مناورات ١٩٩٨، عندما كانت إسرائيل تستعدّ للحرب مع سوريا. ومنذ ذلك الحين ازداد حزب الله قوّةً وعديدا. فبحسب بعض الإحصاءات، يقاتل في صفوفه حاليّا زهاء ٤٠ ألف مقاوم موزّعين على كتائب وألوية ولديهم خبرة قتالية واسعة، وخاصة أنهم يقاتلون منذ عام ٢٠١١ في الحرب السورية المعقّدة والمتعدّدة المجالات. والقيادة الإسرائيلية من جهتها تعتقد بأنّ حزب الله يملك نحو ١٠٠ ألف قذيفة من نوع "غراد"، وبضعة آلاف من الصواريخ القادرة على إصابة الأهداف في المناطق الوسطى من الكيان الغاصب. وبحسب صحيفة جيروزاليم بوست،أنّه إذا كان حزب الله قد أطلق في الحرب اللبنانية الثانية على الكيان الغاصب ١٥٠-١٨٠ صاروخا في اليوم، فإنّه اليوم يستطيع إطلاق من ١٥٠٠ إلى ألفي صاروخ. وعلى الرغم من استبعاد تعرّض الكيان في الوقت الراهن لهجوم من جانب حزب الله، بحسب الصحيفة، فإنّ الكيان قرّر اتّخاذ إجراءات احتياطيّة، لأنّ حزب الله تربطه علاقات وثيقة بإيران التي يعدّها الكيان خطراً رئيساً مركزيّاً عليها. والعدو الإسرائيلي متخوّف من أن يحتلّ مقاتلو حزب الله والقوات الرديفة المواقع التي كان يحتلّها مسلحو "داعش" الإرهابي.

على الرغم من أنّ المناورة تأتي في سياقٍ مهنيٍّ عسكريٍّ واضح، وترجمة لإحدى مراحل خطط رفع مستوى الجاهزيّة والاستعداد في جيش العدو، إلّا أنّه يغلب عليها التوظيف السياسي أكثر من أي شيء آخر، الأمر الذي بدا حاضرا بشكلٍ جليّ في مقاربة وسائل الإعلام الإسرائيلية. وفي هذا الإطار، حرصت عدّةتقارير إعلامية إسرائيلية على تقديم المناورة كما لو أنّها تعبيرعن انتقال جيش العدو من مرحلة الردع إلى مرحلة الحسم في أي مواجهة قد تنشب مستقبلاً بين الجيش الإسرائيلي والمقاومة الاسلامية اللبنانية. وقد

وضعت القيادة الإسرائيلية على هذا الصعيد عدّة سيناريوهات من ضمنها تصفية فصائل "كوماندوس" محدّدة، تمكّنت من التوغّل إلى فلسطين المحتلة عبر الحدود مع لبنان. والسيناريو الآخر يتمثّل في ما يجب على الإسرائيليين عمله في حال التوغّل الواسع إلى الأراضي المحتلة. والخياران يتضمّنان كيفيّة إجلاء المدنيين من المناطق الحدودية، التي يمكن أن تتعرّض لهجمات صاروخية. وبحسب المحللين، يعيش في الجليل اليوم مليون مستوطن، أي يجب إجلاء ما لا يقلّ عن ٢٥٠ ألف شخص. وبالطبع تتضمّن هذه السيناريوهات خططا هجوميّة أيضا، أي عبور الحدود والتوغّل في الأراضي اللبنانية.

وبحسب ممثل القيادة العسكرية الإسرائيلية، فإنّ الهدف الأساس لهذه المناورات هو "الحفاظ على الاستقرار في المنطقة الشمالية". ذلك أنّ تل أبيب قلقة من ازدياد القوة العسكرية لحزب الله وإيران في لبنان، وهي أوضحت مرارا لموسكو وواشنطن أنها مستعدّة للعمل على انفراد، إذا ما تعرّض أمنها للخطر.

٦- في الأبعاد الاستراتيجية للمناورة:

تعتمد الاستراتيجية الإسرائيلية، على ضوء المناورة، بشكلٍ كبيرٍ على الدروس السلبية التي تعلّمها العدو من حرب عام ٢٠٠٦. فحينها كان لاعتماد الجيش الإسرائيلي المفرط على القوة الجوية للفوز السريعبالحرب أثر عكسي. أما القوات البرية التي عبرت الحدود اللبنانية لمواجهة حزب الله فكانت قليلة جدا وانتشرت بعد فوات الأوان. وفي هذا السياق يذكر موقع صحيفة يديعوت أحرونوت أنّ ثمة في الجيش الإسرائيلي من يصف حزب الله حاليا بأنّه "الجيش الأقوى في الشرق الأوسط بعد الجيش الاسرائيلي"، موضحا أنّ "حزب الله قادر على إدارة معركة على مستوى لواء، مع استخدام الطائرات المسيّرة الهجوميّة، وجمع المعلومات الناجعة عبر الدمج مع الأنفاق والكهوف الهجومية، وتفعيل نيران مدفعيّة، إلى جانب استخدام الدبابات وكذلك تجميع قوات مدرّبة بسرعة، بحجم ٤٠٠٠ مقاتل خلال فترة زمنية قصيرة في منطقة عمليات، كما فعل في إحدى عملياته الأخيرة ضد داعش، حيث تحوّل الحزب بحسب التقديرات الإسرائيلية إلى جيش أكثر احترافاً وقوة وخبرة على المستويين العملياتي والتكتيكي".

تجدر الإشارة إلى أنّ عدد مقاتلي حزب الله اللبناني، بحسب المواقع العسكرية الأجنبية على الشبكة العنكبوتية، يقدر بـ ٢٠ ألف مقاتل، ويصل عدد جنود الاحتياط إلى ٧٠ ألف مقاتل، في حين اعتبر معهد أبحاث الأمن القومي، المؤسسة البحثية الأولى المتخصصة بالشأن الاستراتيجي في "إسرائيل"، أن التعاظم العسكري لحزب الله ليس من خلال تعداد القدرة وأنواعها ومراتبها وحسب، بل أيضا بما يرتبط بالبنية التنظيمية والتشغيلية لهذه القدرة، مع بحث في النظرية القتالية التي تحوّلت من نظرية تفعيل قوّة لمنظمة حرب عصابات، إلى نظرية قتالية لكيان مؤسساتي يشبه الجيوش النظامية، بما يشمل استراتيجيّا نقل المعركة إلى أرض العدو.

البحث الذي أعدّه رئيس برنامج الميزان العسكري في الشرق الأوسط يفتاح شابير، حدّد غاياته من استعراض القدرات العسكرية لحزب الله، وهو محاولة توصيف هذا التهديد ومرتبته في سلّم التهديدات الماثلة أمام "إسرائيل"، لكنه أكّد، في المقابل، صعوبة تحديد هذه القدرة ربطا بنجاحات الحزب بصورة عامة، كمؤسّسة عسكرية نظامية (جيش)، في الحفاظ على أسراره العسكرية وعلى حذره وأمن المعلومات لديه، بمعنى أن ما هو منشور عنه قليل جدا مقارنةً بما لديه من قدرات. ويشير البحث إلى أنّ الحزب بعد التدخّل في سوريا بات مغايراً لما كان عليه قبل ذلك، وخصوصا لما كان عليه في حرب ٢٠٠٦. ويؤكّد بأن الحزب غير معني بالقتال وفق أسلوب "آلة مبرمجة" تمتثل للأوامر وتتحرّك وفقها بشكلٍ مسبق. وهو يختلف عن كل جيوش الدول العربية التي تميل إلى الحفاظ على هيكليّة هرميّة صلبة، إذ إنّه يثقّف مقاتليه على اتّخاذ المبادرة الميدانية، والتمتّع بهامش حرية عمل بارز خلال القتال.

القتال في سوريا أفاد حزب الله في أكثر من اتجاه، وراكم على خبرته الطويلة المكتسبة في مواجهات سابقة مع "إسرائيل". فمنذ بداية تدخّله في سوريا، حرص على قيادة مهمات قتالية مع إسناد لوجستي من الجيش السوري، حتى في أعقاب التدخل العسكري الروسي.

من جهةٍ ثانية، طرأ تطوّر على قدرات الحزب التشغيليّة الميدانيّة، من قيادة وحدات قتالية صغيرة إلى قيادة وحدات قتالية كبيرة، مع تنسيق قتالي مع سلاحي الجو والمدفعية. هذا يعني أنه بات يشبه الجيوش النظامية الحديثة. لكن ذلك لا يعني أنّه سيستخدم في الحرب المقبلة مع "إسرائيل" هذه النظرية ضمن هيكليّة هرميّة صلبة، وإنّما وفق هيكليّة مرنة. وبالتالي، فإنّ إسرائيل ستضطر لمواجهة جيش منظّم ومدرّب ومصمم، وستواجه الخبرة العملياتية التي اكتسبها في أطر تنفيذيّة قتاليّة كبرى، ومشاركة الحزب في القتال إلى جانب الجيش السوري وفيلق القدس الإيراني، وجنبا إلى جنب مع الجيش الروسي، وفّر له عتادا وتجربة قتالية لم تكن لديه من قبل. مع ذلك، قد لا يلزم حزب الله نفسه بأن يواجه الجيش الإسرائيلي وفق أسلوب سوريا، وسيعمد إلى الابتعاد عن المواجهات الجبهوية المدرّعة، وسيفضّل تفعيل منظومات الصواريخ واستخدام واسع لمنظومات ضدّ الدروع، أكبر بأضعاف ممّا استخدمه في المواجهات السابقة، وإلى جانب ذلك، فإنّه قادر أيضا على تفعيل جزء من القدرات المتطورة الموجودة في حوزته، وبشكل خاص المنظومات الدفاعيّة المحمولة على الآليات، والطائرات من دون طيار لجمع المعلومات، وتنفيذ هجمات في عمق إسرائيل.

في خلاصة البحث، يؤكّد معهد أبحاث الأمن القومي أنّ حزب الله قد لا يكون أكبر قوة عسكرية تهدّد "إسرائيل"، ولكن من المؤكّد أنّه القوة العسكرية الأكثر تصميماً والأكثر مهنيّة، وأنّه جيش من أفضل الجيوش في الشرق الأوسط، وهو جيش استخلص العبر من مواجهاته مع "إسرائيل"، وعمد إلى بناء القوة العسكرية بصورة مهنيّة، مع وسائل قتالية متطوّرة وقوّة بشريّة مدربّة مشبعة بالحافزيّة، إلى جانب عقيدة قتاليّة مميّزة.

في المجال نفسه نشر موقع "ديبكا" الاستخباراتي الإسرائيلي تقريرا عن المناورة الأضخم التي بدأها الجيش الإسرائيلي الثلاثاء ٢٠١٧/٩/٧ بمشاركة عشرات الآلاف من جنود القوات البرية والجوية والبحرية والوحدات الاستخباراتية بمن فيهم الاحتياط، كاشفا عن أنها مستقاة من الدروس التي تعلّمتها تل أبيب جرّاء هزيمتها في عدوان تموز ٢٠٠٦، أي ما تسمّيه حرب لبنان الثانية. ولفت الموقع إلى أنّ المناورة تحاكي احتلال مستعمرتين إسرائيليتين في طبريا والجولان على يد حزب الله، مشيرا في الوقت عينه إلى أن الجيش الإسرائيلي تدرّب على شنّ عمليات دفاعية وهجومية في عمق "خطوط العدو".

وأوضح الموقع أنّ خطّة المناورة تقضي "بعدم السعي للتوصل لوقف إطلاق النار وعدم إفساح المجال أمام حزب الله للاستعداد لجولة أخرى، أي مثلما انتهت الحرب في العام ٢٠٠٦". وتابع الموقع كاشفا أن استراتيجيي إسرائيل يسعون، على حدِّ زعمهم، إلى "هزيمة الحزب وبالتالي تحطيم معنوياته والقضاء على بنيته التحتية ووضع حد لإيمانه بأنه قادر على تدمير إسرائيل في الجولة المقبلة".

في هذا السياق يتبيّن أنّ هناك قناعة متزايدة لدى الأجهزة الأمنية والمؤسسة العسكرية الإسرائيلية بأنّ أمن الكيان العبري بات في خطر، وأن على تل أبيب التحرّك على كافة الأصعدة لمواجهة الخطر الذي يشكّله وجود قوات إيرانية أو حليفة لها في سوريا، إضافةً إلى الخطر العسكري الذي تمثله ترسانة حزب الله المتطورة في لبنان. وما من شكّ بأنّ التحرّكات السياسيّة والعسكريّة الأخيرة التي قام بها العدو إنّما تؤكّد بأنّ لديه مخاوف حقيقيّة تهدّد وجوده من القفزة النوعية على مستوى التسليح والمهارات القتالية التي اكتسبها حزب الله من التجربة السورية، ولا تبتعد زيارة رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، إلى موسكو وواشنطن عن هذا الإطار. لكن يبدو أن تفاعل الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، مع مخاوف نتنياهو من التواجد الإيراني وحزب الله في سوريا لم يكن على مستوى تطلّعات الأخير، فليس من مصلحة روسيا تقويض تحرّكات حلفائها في الأزمة السورية حتى لا تنقلب موازين القوى لصالح غريمتها التقليدية أميركا، كما أن بوتين لن يعطي لنتنياهو ما عجز أن يأخذه الأخير من رئيس الولايات المتحدة، دونالد ترامب، فحتى واشنطن بدأت تنظر إلى

الملف السوري من زواية المصالح الخاصة والتي تتقاطع في كثير من الأمور مع الرؤية الروسية. فالرئيس الأسد مستمرّ في الحكم ومناطق خفض التوتر برعاية روسية أميريكية تتوسّع. بالتالي إنّ فشل المسار السياسي لنتنياهو دفعه لاستعراض عضلاته الخائرة من خلال المناورات العسكرية، فلتل أبيب تجربة مريرة مع حزب الله سواء في جنوب لبنان أو حرب ٢٠٠٦، لكن لا يبدو أن "الإسرائيل" أوراقا كثيرة تلاعب بها حزب الله، فمسارات السياسة الدولية فشل معظمها، في ظلّ تفكّكٍ واضحٍ لسياستها الإقليمية مع بعض حلفائها في المنطقة، فالسعودية وقطر قطبا الناتو الإسلامي المخصّص في الأساس لضرب إيران، نالت منه الخلافات المتصاعدة بين الرياض والدوحة، والأخيرة بدأت بالتقارب مع إيران ولحقتها في ذلك تركيا. كما أنّ الخيارات العسكرية التي كانت تل أبيب تقودها من خلف الكواليس في سوريا هي في طريق الإفلاس، فالجماعات الإرهابية كجبهة النصرة والتي كانت "إسرائيل" تدعمها من خلال الجولان وتداوي جرحى فصائلها وتقيم غرف استخبارية لها على الحدود السورية وتقدم من خلالها الدعم اللوجستي والمعلوماتي لهذه الجماعات التكفيرية المجرمة، قام حزب الله وحلفاؤه بسحقها فلم يعد لهذه العصابات وجود في الجرود اللبنانية، وبدأ يتقلّص وجودها في سوريا وتشهد على ذلك مدينة دير الزور مؤخرّا، وما كانت تخطّط له تل أبيب في الأزمة السورية من إنهاك حزب الله في حرب طويلة الأمد انقلب عليها، فالمقاومة الإسلامية خرجت أقوى من السابق بخبرات عسكرية ضخمة وعتاد عسكري، ناهيك عن اكتسابها خبرات إضافية في مجال حرب الشوارع بالإضافة إلى امتلاك خبرات الجيوش النظامية، الأمر الذي أربك حسابات تل أبيب، ودفعها على ما يبدو لتقديم استعراضات عسكرية تحاول من خلالها تعويض هزائمها في الميدانين السوري واللبناني .

من ناحيةٍأخرى رأى بعض المحللين أنّ "إسرائيل" تعلم جيدا أن حربها المقبلة لن تكون سهلة مع حزب الله، فالأخير أصبح مربوطا بشبكة من العلاقات والمعادلات العالمية، وهنا تجدر الإشارة إلى موسكو والصين بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كما أن تحالفه مع إيران في سوريا أصبح مباشرا واستراتيجيا، وبالتالي لا تستطيع تل أبيب استبعاد إيران كحليف أساسي لحزب الله في أي حرب مقبلة، وهو الأمر الذي انعكس في التحذيرات الإسرائيلية من الجهود الإيرانية لإقامة منشآت لإنتاج الأسلحة في لبنان، حيث قال وزير الحرب، أفيغدور ليبرمان للأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو جوتيريش، خلال لقاء جمعهما في "إسرائيل" أنّ ايران "تعمل على إنشاء مصانع لتصنيع أسلحة دقيقة داخل لبنان نفسه".

ويقول هؤلاء المحللون أنّه إذ لم يتغيّر شيء ما، فإنّ الكيان الصهيوني متّجه بسرعة نحو مواجهة عنيفة أخرى على الحدود الشمالية، وهذه المرة ضد القوات الإيرانية أو المقاتلين المدعومين من إيران مع صواريخ صنعت وفق الطلب من طهران. وفي هذا السياق صرّح وزير الدفاع الإيراني العميد أمير حاتمي، أنّ بلاده تعطي الأولوية لتعزيز البرنامج الصاروخي لبلاده وتصدير الأسلحة لدعم الحلفاء المجاورين.

إنّ المناورات الإسرائيلية الضخمة المخصّصة ضد حزب الله، الذي قد لا يتجاوز عديده بضعة آلاف من المجاهدين، والذي لا يمتلك الترسانة العسكرية الضخمة التي يمتلكها هذا الكيان الغاصب، إنّما تشير إلى صدقيّة كلام سماحة الأمين العام للحزب السيد حسن نصر الله، الذي استغربه العديد من ضعفاء القلوب والايمان، بأنّ بيت الكيان الصهيوني هو أضعف من بيت العنكبوت.

من ناحيةٍأخرى اعتبر مهند حاج علي، مدير الاتصالات بمركز كارنيغي للشرق الأوسط،بأن هذه المناورات تدلّ على قناعة إسرائيلية بأنّ الحرب مع لبنان باتت على الطاولة، وهي حتميّة حتى إن لم تكن وشيكة. وهذه وجهة نظر تعبّر عنها قوات اليونيفيل والدول الراعية لها في الاجتماعات المغلقة. ويقول حاج علي إن المناورات هي أكثر من رسالة، بل ربّما التزام بالسياسة العدوانية الإسرائيلية المعهودة، على الرغم من أنه من الصعب أن نرى حزب الله يطلق العنان لحرب معها، نظرا لانشغاله في سوريا.

ضمن هذه الأجواء المتوترة كان وفد أمني - عسكري إسرائيلي يقوده رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد)، يوسي كوهين، قد زار الولايات المتحدة منتصف الشهر الماضي، والتقى بالمسؤولين الأميركيين

لمناقشة الترتيبات التي يجري الإعداد لها في سوريا ومستقبل الوجود الإيراني فيها. وزار رئيس الحكومة الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على رأس وفد إسرائيلي موسكو للسبب نفسه، والتقى في ٢٣ من شهر آب المنصرم مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. وقد نقلت الصحف الإسرائيلية أنباء تتحدّث عن فشل الوفود الإسرائيلية إلى واشنطن وموسكو في الحصول على أجوبة مقنعة تطمئن الطرف الإسرائيلي. غير أنّ خبراء غربيين في شؤون الشرق الأوسط لفتوا إلى أنّ تركيز الصحافة الإسرائيلية على فشل مهمّة الوفود الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة قد يُراد منه تبرير قيام تل أبيب بردّ عسكري إسرائيلي يخفّف من سلبية التداعيات السلبية التي قد تتيحها الترتيبات الدولية إزاء سوريا.

وحول سيناريوهات أي مواجهة قد تحصل والتسويق الإعلامي، الذي يمارسه حزب الله، على حدِّ زعم مهند حاج علي، بشأنها، يرى حاج علي أن "حزب الله اليوم أقوى عسكريّاً وسياسيّاً ممّا كان عليه عام ٢٠٠٦ وإمكاناته الصاروخية تضاعفت، وكذا خبرة مقاتليه، لكن في الوقت ذاته، إسرائيل تغيّرت أيضا، وباتت قادرة على إسقاط الصواريخ المتوسطة المدى ومنعها من استهداف مدن الداخل. وهذه القدرة تتزايد ولا تتناقص، لذا فإنّ التسويق الإعلامي ليس بمحلّه كونه يزيد التوتّر مع دولة تملك قدرة هائلة على التدمير، وتتمتّع بدعم دولي منقطع النظير". ويتساءل حاج علي، في سياق الزعم المفترض نفسه: "ماذا سيكسب الحزب من حرب جديدة تُدمّر ما تبقّى من الاقتصاد اللبناني المتداعي أصلا؟"، مضيفا "لن تُحقق مثل هذه المواجهة له أي نتائج، بل ستُسرع في انهيار ما تبقّى من الكيان اللبناني".

من جانبٍ آخر، رأى الخبير الإسرائيلي البارز في الشأن السوري، البروفيسور إيال زيسر، أنّ المناورات على الجبهة اللبنانية، "تعكس انقلابا في التفكير العسكري الذي نأمل أن يتغلغل إلى القيادة السياسة الإسرائيلية".وأوضح في مقالٍ له في صحيفة "إسرائيل اليوم"، أنّ "الجيش الإسرائيلي لا يسعى للردع ولا يبحث عن تغيير غير واضح وغامض في الواقع السائد على طول الحدود مع لبنان، وإنّما يريد هذه المرة الحسم".

ونوّه زيسر، وهو أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة "تل أبيب"، بأنّ هذا "الانتعاش في التفكير جاء انعكاسا لسلسلة من اللقاءات التي عقدها قادة كبار في الجيش، عشيّة المناورات وبعدها"، موضحا أنّ "هناك حدودا وخطوطا حمراء لسياسة الاحتواء الإسرائيلية"، حيث أكّد ضابط إسرائيلي كبير، أنّه فيحال "تعرّضت السيادة الإسرائيلية للضرر والإسرائيليين للأذى، فإنّ الرّدّ سيكون حاسما وكبيرا ومدمرا"، على حدِّ قوله. واعتبر زيسر أنّ "حزب الله فهم الرسالة، وأكّد خوفه من حرب يكون ثمنها عليه أثقل بكثير من الثمن الذي ستدفعه إسرائيل، حيث حاول نائب نصر الله، نعيم قاسم تهدئة جمهوره الخائف، بأن وجهة إسرائيل ليست الحرب". وأضاف: "وفي رسالة طمأنة للجارة الجنوبية (إسرائيل) بالنسبة للهجوم المنسوب إلى إسرائيل في عمق سوريا، أكّد أنّ حزب الله لا يتّجه نحو الرّدّ أو الحرب، وهذا تغيير كبير في لهجة المنظمة، التي اعتادت تهديد إسرائيل".واعترف زيسر، بأنّ حزب الله "نجح في توجيه ضربة قوية لإسرائيل في مجال الصراع النفسي والصراع على الوعي، ولكن الأمور تغيّرت هذه المرة"، لافتاًإلى أنّ "المناورات العسكرية أدخلت تغييرا في خطاب وقواعد اللعبة، وتحوّل حزب الله الرادع إلى مردوع، وأصبح يحثّ إسرائيل على الامتناع عن الحرب".

وفي القراءة الأوّلية للمناورة في شقيها العسكري والدبلوماسي، يتبيّن أنّها صمّمت لتوجيه رسالة إسرائيلية متعدّدة الاتجاهات توحي بأنّ تل أبيب توجّه إنذارا وتحذيرا أخيرا إلى دول القرار في العالم بأنّها ستبادر إلى العمل بنحوٍ منفرد إذا لم يستجب العرّابون الدوليون لحلّ الأزمة في سوريا حيث تطالب تل أبيب بإبعاد إيران وحزب الله عن حدود احتلالها مع سوريا. وقد تلى هذه الخطوات، شنّ إسرائيل غارة على موقع قرب بلدة مصياف السورية، مع تقصّد إبراز تحليلات إسرائيلية لخلفيّاتها تؤكّد أنّها ليست غارة روتينية، بل لها صلة بخطورة الأوضاع وبقرع طبول الحرب الإسرائيلية في هذه المرحلة.

ثمّة تحليلات إستراتيجية أخرى تقول أنّ المناورة، قد أتت، من ضمن أمورٍ أخرى، على أثر الفشل الديبلوماسي الذي مُنِيَت به إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية عندما سعتا إلى تعديل مهام قوات اليونيفل في الجنوب اللبناني وتحويلها إلى قوة ردع ضاربة لملاحقة مجاهدي حزب الله،أو ما تعتبره مناطق مشبوهة تابعة للحزب، والكل يعلم أنّ الفشل الذريع قد حصل إثر تصويت مجلس الأمن الدولي على التمديد الروتيني لعمل اليونيفل. كما أشارت التحليلات إلى أنّ المناورة ربّما كان لها أيضا بعد داخلي إسرائيلي لإشغال الرأي العام عن قضايا الفساد التي تلاحق رئيس الحكومة نتنياهو عن طريق إظهار القوّة والتفوّق العسكري.

أمّا عن توقيت هذه المناورات فهو مرتبط على الأرجح أيضا بالعديد من الإخفاقات التي تكبّدتها "إسرائيل" سواء على مستوى مجلس الأمن كما ذكرنا،أو أي دور لها في المشهد الإقليمي خصوصا بعد الانتصارات التي حقّقها حزب الله والجيش اللبناني في المعركة ضد الإرهاب التكفيري في سوريا وفي جرود عرسال ورأس بعلبك ما شكّل رسالة واضحة للعدو بأنّ المقاومة تزداد قوة ومنعة وخبرة، فكانت هذه المناورات لرفع معنويات الجيش والشعب في الكيان الغاصب، وإحداث ضجة إعلامية وعرض للعضلات لا أكثر ولا أقل.

من بين ثنايا كل هذا الضجيج عن قرع طبول الحرب أو التهديد بها، خطت إسرائيل خطوةً في الاتّجاه المعاكس أيضا، تمثّلت بتوجيه رسالة الى لبنان عبر قناة تابعة للأمم المتحدة، (يعتقد أنها قيادة قوات اليونيفيل في الناقورة)، أعلمته فيها بأنّها "لا ترغب في الحرب ضد لبنان". وكان واضحا أنّ إسرائيل تتقصّد إيصال هذه الرسالة بنحو غير مباشر إلى حزب الله الذي كانت تراقب أيضا حركة استنفاره غيرالمسبوقة وراء خط القرار ١٧٠١، في مواجهة إسقاطات مناورة "السهم الأزرق" المحتملة.

رسالة "التطمين" الإسرائيلية هذه كان لها تفسيران أساسيان لدى الجهات التي راقبت مسار التصعيد الإسرائيلي في المناورة، وأيضاً عبر غارة مصياف وتالياً عبر خرق جدار الصوت في سماء مدينة صيدا:

ـ التفسير الأول، إمكانية أن تكون المناورة "خديعة استراتيجية" تريد إسرائيل من خلالها تكرار الخديعة الشهيرة نفسها التي مارستها ضد حركة حماس عام ٢٠٠٧، حيث سرّبت آنذاك لمصر رسالة تطمين رسمية بأنها لن تشن حرباً ضد قطاع غزة، وأنّها ستتجاوز حالة التصعيد التي كانت حينها سائدة بين الجيش الإسرائيلي وحماس، ما جعل هذه الأخيرة تدخل في حالة استرخاء، وتقرّر عدم إلغاء الاحتفال بتخريج دفعة متخرجي كلية الشرطة، الأمر الذي استغلته إسرائيل وباشرت حربها على غزة ذاك العام، بقصف الاحتفال ما أدّى الى مقتل العشرات من قادة حماس الذين كانوا يحضرونه.

ـ التفسير الثاني، اعتبر أن إسرائيل جادّة في رسالة التطمين التي أرسلتها، وهدفها منها تحرير مناوراتها السياسية والعسكرية ذات الحد الأقصى التي تطلقها في هذه الفترة، من خطر أن تتسبّب بنشوب حرب تفرضها حسابات خاطئة في تقدير حزب الله للموقف الميداني والنيات الإسرائيلية.

وجاء الخرق الضخم لجدار الصوت الذي نفّذته طائرة إسرائيلية في سماء صيدا والتي كانت سبقتها رسالة التطمين الإسرائيلية لبيروت، دليلاً على أنّ كل ما تريده تل أبيب، هو إظهار أكبر قدر من الضجيج العسكري، المصحوب بمقدار كافٍ وغير معلن من إجراءات سياسية مطمئنة تحول دون الانزلاق إلى حربٍإقليمية غير محسوبة.

داخل الكواليس التي تابعت مسار التوتر الصامت والمرتفع الوتيرة بين إسرائيل والحزب، تم تسجيل ملاحظة هي أن جبهة الحدود الإسرائيلية ـ اللبنانية مرّت خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة في حالٍ حرجة، وذلك نتيجة العوامل الآتية:

ـ أولاً، أن المناورة الإسرائيلية الأضخم والمحدد عنوانها بـ"هزيمة حزب الله"، تزامنت مع توجّهات في الأمم المتحدة مدعومة أميركيا لتغيير قواعد الاشتباك في عمل قوات اليونيفيل في جنوب لبنان، وكذلك تزامنت

أيضاً مع زيارة مفاجِئة لوفد من المحكمة الدولية إلى لبنان برئاسة المدعي العام فيها، للتمهيد لإصدار قرار ظني جديد يدين حزب الله، خلال الاسابيع المقبلة.

هذه المعطيات المتلاحقة تسبّبت بخلق تقدير أوّلي للموقف لدى الحزب يشي بأنه قد يكون هناك اتّجاه دولي لقطع الطريق على وصول الحزب للحظة جني مكاسب استراتيجية سيحصل عليها نتيجة ظهور ملامح قوية تؤشّر لفوز محوره في سوريا، وربما كان سيناريو الحرب ضده في لبنان أحد أدواته.

ـ ثانيا، لدى تحليل رسالة التطمين الإسرائيلية للحزب عبر لبنان وقناة تابعة للأمم المتحدة، كان يمكن لحظ أن هذه الخطوة ليست الأولى من نوعها خلال الفترة التي تلت حرب ٢٠٠٦، فخلال آب ٢٠١٠، وإثر الصدام الذي وقع بين الجيش اللبناني والجيش الإسرائيلي عند بلدة العديسة في ما عرف بـ"قضية الشجرة"، كانت إسرائيل هي المبادرة لطلب وقف النار، ووافق الجيش اللبناني عليه.

آنذاك قدّمت إسرائيل الطلب تحت عنوان "وقف إطلاق النار لسحب جرحى الجيش الإسرائيلي". وجرى أكثر من مرة خلال السنوات السابقة أن أرسلت إسرائيل عبر قوات اليونيفيل لبيروت رسائل تطمين بأنها لا تسعى لنشوب حرب، وخصوصا إثر حالات إطلاق صواريخ من أراض لبنانية إلى الداخل الإسرائيلي، حيث كانت إسرائيل تردّ بوجبة قذائف تتبعها برسالة لبيروت مفادها أنّ ردّها انتهى عند هذا الحد.

غير أن رسالة إسرائيل التطمينية الأخيرة للبنان، تعامل الحزب معها بكثير من الريبة والحذر، لأنّ الظروف السياسية والعسكرية التي وصلت في ظلها، كانت تحتّم على الحزب التعامل معها بأعلى درجات اليقظة والجدية وباتّخاذ أكثر من تدابير الحذر التي شمل تطبيقها إلغاء خطوة لسماحة السيد نصرالله كان يعتزم بموجبها الظهور مباشرة وليس عبر شاشة التلفاز العملاقة في مهرجان "التحرير الثاني" في بعلبك.

٧ ـ خاتمة:

لقد جاء سقف التوظيف الإسرائيلي للمناورة، وفقاً لعقيدة رئيس الأركان غادي ايزينكوت، مخيّبا للآمال الداخلية من حيث قيمته المبالغ فيها لناحية الأهداف المحقّقة، ما حمل معظم وسائل الإعلام والكتاب الإسرائيليين على السخرية من المجهود الكبير المبذول سدى، وسط حديث عن "فجوة كبيرة" بين الخطاب المعلن والقدرة على التنفيذ وتحقيق الاهداف، إستنادا إلى ما حملته حرب تموز ٢٠٠٦ من خلاصات، معتبرين أنّ الإنجازات إنّما تتحقّق في الحروب الواقعية التي تبقى هي الاختبار الحقيقي وليس المناورات.

لقد كشف اليكس فيشمان، المحلل العسكري لصحيفة يديعوت أحرونوت، أنّه عشيّة إحياء الذكرى العاشرة لحرب لبنان الثانية، أقيمت مناظرة بين عدد من ضباط الجيش انتهت إلى أنّأحد قادة الفرق إبّان تلك الحرب طلب وقف الهجوم البري الذي كان الجنرال غادي ايزينكوت قد طلب منه تنفيذه آنذاك بوصفه رئيسا لشعبة العمليات، بسبب الظروف الصعبة على حدِّ تعبيره.

وكشف فيشمان سر المناورة الأخيرة في قيادة المنطقة الشمالية التي جاءت حقيقة لتحلّ محلّ "المناورة الاركانية" التي يجريها الجيش الاسرائيلي كل سنة، نتيجة تخفيض موازنة وزارة الدفاع، وإن كانت بحجمٍأوسع من المعتاد إلاّأنّها لا تزال في مستوى تحت الرؤية الاركانية. فالمناورة الأخيرة لم تر سوى ساحة قتالية واحدة. صحيح أنّ هذه ساحة مركزية، ولكن حتى في تقديرات الوضع المتفائلة فإنّ القتال حين سينشب سيضم ساحتين على الأقل: الفلسطينية واللبنانية.

في هذا الإطار يمكن الاستنتاج، من مراجعة الإعلام الإسرائيلي، أنّ تل أبيب ترزح تحت تهديد حرب ثلاثية الجبهات هندستها طهران، وذلك وفقا لسيناريوهات مختلفة للمواجهات المحتمل وقوعها، مدركة بأن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو والرئيس الروسي فلاديمير بوتين يدركان ولكن لا يقرّان بأن قدرة موسكو على لجمها محدودة، نتيجة عوامل عديدة. وتعتبر التحليلات الإسرائيلية أنّ الحرب قد تشتعل نتيجة "اعتداءات يشنّها أفراد في شبكات تدعمها إيران"، ما يحتّم على إسرائيل توجيه ضربة استباقية تستهدف

قواعد الصواريخ في لبنان وغزة ومصانع إنتاج الصواريخ في لبنان وسوريا، خصوصاًأنّ تل أبيب لم تفعل منظومة القبة الحديدية في مواجهة الصواريخ الباليستية التي بات الحزب يملكها، والتي في حال فشلها في العمل ستدخل ايران على الخط، ما قد يدفع بالولايات المتحدة إلى مناصرة إسرائيل وخوض الحرب إلى جانبها. فهل تواجه تل أبيب فعلاً نقطة تحول إستراتيجية؟ وهل ستقود الجولة المقبلة من الحرب مع حزب الله إلى وضع لا يستطيع فيه تشكيل خطر على "إسرائيل" كما تدّعي؟

في ضوء ما تقدّم يبقى السؤال الرئيس المطروح: متى سيحدّد الجيش الإسرائيلي تاريخ الهجوم الحاسم، بحسب زعمه، قبل أن يُطلق الحزب صواريخه؟ وهل سيطلق الجيش الإسرائيلي الضربة الإستباقية، أم أنه سيكتفي فقط بالرّد على ضربة حزب الله؟

الشيء المؤكد هوأنّ المناورة الحالية، كما أعلن العدو، أتت خصّيصاً للتدرّب على أوسع نطاق لتحقيق الجاهزية لمواجهة حزب الله في حرب مستقبلية، لا لمواجهة جيوش عربية مجتمعة، مع الأمل، بحسب وزير الأمن الاسرائيلي أفيغدور ليبرمان، بأن لا تضطر إسرائيل للّجوء إلى الحرب في مواجهة الحزب.

إنّ إحدى أهم نتائج المناورة التي يمكن تلمّسها في النهاية هي أنّ تهديد حزب الله العسكري للكيان الغاصب قد بات فعلاً من الأهميّة والخطورة بمكان إلى حدِّأنّه تطلّب منها مناورة فيلقيّة باهظة الكلفة، مع عشرات الآلاف من المشاركين فيها، وبجميع أنواع الأسلحة. والنتيجة الثانية، التي لا تقل أهمية وحضوراً، هي تعامل المراسلين والخبراء الإسرائيليين مع النتيجة الافتراضية المقرّرة سلفا للمناورة وهي: "الحسم وهزيمة حزب الله". وعلى هذا الصعيد يكاد الحديث لدى جميع الخبراء، وربما من دون استثناءات، يبدأ من التشكيك بها وينتهي إلى طرح علامات استفهام كبيرة جدا حولها مع إعادة التأكيد بأنّها لن تتحقّق.

هاتان النتيجتان كافيتان من ناحية حزب الله. ومن شأنهما أن تُعيدا التأكيد على أنّ جاهزيته وقدراته، العسكرية والقتالية، قد حفرت عميقا في الوعي الجمعي للإسرائيليين، بما يشمل الجيش الإسرائيلي وقادة أركانه بشكلٍ خاص. وهي من جانبٍ آخر تكرّس معادلة واضحة للمتابعين:

أ- كلما ارتفعت وتيرة التدريبات والمناورات والاستعدادات لدى الجيش الإسرائيلي لخوض حرب مستقبلية في مواجهة المقاومة، ترتفع وتتعاظم الشكوك في إسرائيل حيال تحقيق نصر حاسم مزعوم، وهذا يعني أننا أمام مستوى أفضل من نجاح المقاومة واستعدادها وجاهزيتها العسكرية.

ب- النتيجة الثانية هي الاستخدام والتوظيف المفرطان للمناورة، في محاولة تبدو مبنيّة على يأس وهبوط معنوي، وهدفها التحقيق النظري لما عجزت "إسرائيل" عن تحقيقه عمليّا، ليس عسكريا عام ٢٠٠٦ فحسب، بل وفشل رهاناتها على حلفائها في الحرب السورية لكسر حزب الله وحلفائه.

إنّ قرار إجراء المناورة الفيلقية، في هذه المرحلة بالذات، يأتي امتدادا لخطّة الجاهزيّة التصاعديّة التي اعتمدها العدو منذ ما بعد حرب عام ٢٠٠٦، وبما يتلاءم مع تعاظم قدرات حزب الله وتطور كفاءاته القتالية. وتطبيقا لمفهوم ضرورة الاستعداد لمواجهة سيناريوات يستطيع حزب الله القيام بها، وليس مع ما ينوي ويخطّط لتنفيذه في هذه المرحلة أو تلك. وقد هدفت المناورة أيضاً إلى الاستعداد لكل أنواع التطوّرات المباغتة التي يمكن أن تتدحرج سريعا بعدما لاحظت القيادتان العسكرية والاستخبارية مسارا غير مسبوق من سرعة التحوّلات الاستراتيجية والعملانية في الساحتين السورية والإقليمية، ما قد ينطوي على تهديدات وفرص ما.

أخيرا كان من اللافت ما أوردته صحيفة يديعوت أحرونوت في تقريرٍ لكبير معلّقيها العسكريين، أليكس فيشمان، وهو أنّه عندما ينفخ الجيش الإسرائيلي عضلاته على الحدود الشمالية، ويتحدث عن هزيمة حزب الله، فعليه أن يعود بالذاكرة إلى عام ٢٠٠٦، من أجل موازنة الفجوة بين الخطاب المعلن والقدرة على التنفيذ. وحذّر فيشمان من أنّ على الجيش أن يستعد للحروب، لكن العلامة الحقيقية التي يستحقّها والإنجاز الملموس الذي قد يحقّقهإنّما يتحدّدان حصراً في ميدان الحرب نفسها، وليس في المناورات والاستعراضات، لأنّ نار الحرب وحدها هي الاختبار الحقيقي للقدرات.